مختارات فصول

١٠٥

أحمد النشار

اللمس الخفيف

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مختارات فصول

سلسلة ادبية شهرية

قصص

١٠٥

اغسطس ١٩٩٥

رئيس مجلس الإدارة
ا. د. سمير سرحان

رئيس التحرير
سامى خشبة

نائب رئيس التحرير
إبراهيم أصلان

مدير التحرير
حسن سرور

المشرف الفنى
صبرى عبدالواحد

الغلاف للفنان
عماد حليم

مختارات فصول ـ مختارات فصول ـ مختارات فصول

أحمد النشار

اللمس الخفيف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

الضحك

أنا ولد أكتب القصة القصيرة من زمان وأبى يزعل على لانني لا انتبه لدروسى ولا أدخل الامتحانات وماما تقول ان ولدنا شاطر طول عمره ولكن يلعب فى بعض السنين ويكتب القصص والشعر ولا يدخل الامتحان .. أنا أحب القصة القصيرة وأحب أمى وأبى ولى اخوة أصغر منى وأنا الكبير ، وقد ذهبت الى المقهى الذى يجلس عليه الناس الذين يكتبون القصص القصيرة وينشرونها فى الجرائد والمجلات ، وأنا رأيتهم وسمعتهم يتكلمون بطريقة ناس يكتبون القصة القصيرة فعلا ، وكانوا يختلفون عن الناس الذين لا يكتبون القصة القصيرة فى طريقة الكلام ولكن وجوههم كانت تشبه وجوه الناس الآخرين . جلست على الكرسى وطلبت قهوة ولم أطلب كازوزة لأن الكازوزة يشربها الأولاد الصغار وكان معى الأوراق التى كتبت عليها قصتى ، وقدمت هذه الأوراق الى كاتب قصة

قصيرة كان معى ، وهو الذى قال لى : تعال نروح المقهى يا ولد لنعرض قصتك على كتاب القصة القصيرة الذين يجلسون هناك .. وهذا الكاتب أخذ الأوراق ولف بها على الكتاب الآخرين ، وهم قرأوا وواحد منهم كان أصلع ، وكان يرتدى القميص الممزق على الرقبة .

وقال عنى : انه ولد يكتب قصة قصيرة عادية ، وان العالم الذى يطرحه هو عالم غير غريب ، ثم قال عن نفسه انه يكتب قصصا قصيرة غير عادية ويتناول العالم بكل ما فيه من غرابة . وكاتب القصة الذى قدم أوراقى قال للكاتب الأصلع انه لم يبلغ الثامنة عشرة بعد ولكن الكاتب الأصلع قال : ولو ..

ولما قدمنا الأوراق للكاتب الذى يرتدى البدلة الرمادية والذى يجلس فى وقار على الكرسى ، قرأ الأوراق فى عناية ، وكان كلما قرأ شوية راح ينظر الى السماء ويقول تؤ .. وكان كاتب القصة الذى أحب قصصى قد خدع هذا الكاتب الوقور وقدم له ولدا أشقر وقال : هذا هو الذى كتب هذه القصة ، وضحكت أنا فى سرى لأن صاحبى الكاتب ضحك على الكاتب الوقور . والولد الأشقر راح ينظر للكاتب الوقور فى غباء ، وأنا كنت أريد أن أضحك على هذا الولد الأشقر لأنه لا يفهم شيئا عن القصة القصيرة ، ولكن يفشر كثيرا ويحكى

عن أحلام غير معقولة • وأخيرا تـكلم الكاتب الوقور الذى يقول : تؤ •• وقال ان هـذه القصـة والله غير بطالة ولكن مليئة بلفظ « ثم » وان الذى كتب هذه القصة لا يفهم « ثم » حق الفهم وان « ثم » تختلف عن « و » وراح يقول الفروق • « والولد الأشقر » راح ينظر فى وجه الكاتب الوقور ولا يقول شيئا ، وأخذ الكاتب الذى أحب قصصى يبتسم لى وقد قال لى من قبل اننى ولد موهوب ، وممكن ان أكون فيما بعد أحسن من يوسف ادريس وأنا كنت فرحت لاننى كنت أعرف ان يوسف ادريس هو أحسن كاتب فى العالم ، وانه يستطيع أن يغير الأشياء تغييرا •

انتقلنا الى الترابيزة التى هناك ورأيت كاتب قصـة يلبس نظارة ويتـكلم عن كاتب ويقول عنه انه أحسن كاتب وأنـا استغربت لأن هـذا الكاتب الذى تكلم عنه لم يكن يوسف ادريس • وهذا الكاتب قال : من الذى كتب هذه القصـة ، رأيتنى اندفع وأقول أنا الذى كتبت القصة ، ونظر ذو النظارة فى عينى وسألنى عن عمرى وأنا قلت له عن عمرى ، وسألنى ان كنت أعمل مثلا أو أذهب الى مدرسـة ، وأنا قلت بمنتهى الشجاعة اننى ولد أذهب الى المدرسة وقال هو : اسمع يا ولد القصة القصيرة عمل عجيب وغريب وشـاق ومتعب ويكلف

الانسان جهدا كبيرا ويحتــاج الى أعصاب فولاذية وحكى عن انه عندما يشرع فى كتابة القصة يروح يجهد عقله ويبحث عن الكلمات بمنتهى الصــدق والأمانة ويشطب كلمات كثيرة لأنها لا تعجبــه ويكتب بدلا منها الكلمــات التى يجدها ملائمــة للموقف • وأنا استمعت له وأنا مستغرب ورأيتــه ينظر الى قصتى فى قرف فزعلت على قصتى •• ثم راح يقول كلاما كثيرا عن الكاتب الذى يعتبره أحسن كاتب وقال لى : هذا الكاتب أســتاذى يا ولد •• كان الكاتب الذى أعجبته قصصى فقيرا ونحيفا ولا يحمل فى جيب القميص أكثر من عشرة صــاغ ورق أعطاها له الولد الأشقر الذى قدمه على أنه أنا •• نظر الكاتب الفقير الى وقال لى : قم يا ولد • وخرجنــا من المقهى وتركنــا الناس الذين يكتبون القصة القصيرة • لقد مشينا فى الشوارع وكان لهذا الكاتب مشية سريعة قافزة • وكان أسرع منى فى المشى ، ويتطلع على الرصيف ، ولا يجرى أمــام الســيارات ويتحدى الناس وينظر فى عيونهم ، قال لى : اسمع يا ولد سوف نذهب الى كاتب قصة قصيرة يكتب بنفس الطريقة التى تكتب أنت بها وســوف نبحث عنه فى جميع الخمــارات فهو يحب شرب الويسكى وقال ان هذا الكاتب ســوف يقرأ قصتى ، ثم يقفز من على الكرسى ويرقص ويقول : هيه لأنها ســوف تعجبه جدا جدا لقد قفز قفزاته ودخل الخمــارات وبحث عن

الكاتب الذى سوف يقول : هيه .. ولكن كان يخرج من الخمارات ويقول لى : هو ليس موجودا وأنا كنت لا أدخل الخمارات لاننى ولد متدين وأكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى نصف السطر ثم أروح أكتب القصة مباشرة قبل أن أكتب لها العنوان . لقد بحثنا كثيرا والكاتب الفقير أصبح يقفز قفزات بطيئة لأنه تعب ولم يعد ينظر فى عيون الناس لانهم كانوا قد ذهبوا الى البيت وناموا وأنا قلت له هل هناك خمارة أخرى لم تذهب اليها ؟ وقفز هو قفزة بطيئة وقال لقد بحثت فى جميع الخمارات يا ولد وليس هناك شك الآن فى انه لم يسكر هذا اليوم . وأنا زعلت وقلت له : يعنى اليوم الذى أكتب فيه أنا القصة وأنت تقرأها وتقول : برافو يعنى فى هذا اليوم بالذات يمتنع هو عن الشرب فى الخمارات .

وقد زعل الكاتب الفقير من أجلي وقال : لا تزعل ياولد سوف نجده يوما ما ، وبينما يقول ذلك سمعنا الصوت الذى يقول : أنا جدع وقال الكاتب الفقير اننى أعرف هذا الصوت جيدا ، وسوف يخبرنا صاحب هذا الصوت عن مكان الكاتب الذى سوف يقول : هيه .. استدار الكاتب الفقير ورأى الرجل الذى قال : أنا جدع وذهب اليه وعانقه وتكلم معه ، والرجل الذى قال أنا جدع قال : أنا مش عارف تمام ولكن قد

تجده على المقهى ، ثم قال أنا جدع وبعدها قال انه كان يسكر معه الليلة فى العوامة ، وانهما تركا العوامة سويا وقال هو له وهما يخرجان من العوامة انه قد يذهب الى المقهى • تركه الكاتب الفقير وقال لى هيا لا تضيع الوقت • لم أضيع الوقت وجريت فى اثر الكاتب الفقير الذى استعاد قفزاته النشطة من جديد •

ولكن وبينما نحن نقطع الشارع بالعرض ، توقفت سيارة أبى السوداء أمامنا ، وراح أبى يضغط على الزمارة وأنا سمعت زمارتنا وقلت للكاتب الفقير : انه بابا والكاتب الفقير صافح بابا وقال له : ابنك كاتب موهوب ، ويكتب القصة القصيرة بطريقة رائعة ، وسوف يكون له مستقبل عظيم ، وبابا لم يرد على الكاتب الفقير ونظر اليه فى خوف ونزل من السيارة ، وشدنى من ملابسى وفتح الباب ورمانى فى السيارة السوداء ونظرت أنا الى الكاتب الفقير وحركت الاكرة وحاولت النزول ولكن بابا قال : اوعى تنزل أحسن والله العظيم اضربك •• وأنا خفت من عيون بابا ولكن كنت أحبه ما أزال ولم أنزل من السيارة • ورأيت الكاتب الفقير يمسك أوراقى وينظر الى نمرة السيارة ويدونها فى المفكرة التى كانت فقيرة مثله ، وتحركت السيارة ونظرت الى الخلف ، ورأيت الكاتب

الفقير يقفز بصعوبة بالغة .. نظرت الى عيون بابا وقلت له فى أدب : لمــاذا لم ترد على الكاتب الفقير يا بابا .. وبابا ابتسم فى عيونى وقال فى استغراب : اسمع يا ولد أنا أريد أن أسألك عن شيء وأنا قلت لبابا اسأل يا سيدى .. وهو قال : هــل هذا الكاتب سودانى يا ولد وأنا ضحكت وضحكت وبابا قال وهو يضحك : لقد كان يتكلم بطريقة السودانيين وكان وجهه أسمر وأنا صححت لبابا الخطأ الذى وقع فيه وقلت له : أبدا يا بابا انه كاتب مصرى مائة فى المــائة ، وهو الوحيد الذى يكتب القصص ، ولكن لا يتكلم بطريقة الناس الذين يكتبون القصص : وقال بابا : اسمعى يا ست هانم ابنك بيقول : القصص مرة أخرى ، ويريدنى أن أروح فيها . ثم قال فى غضب اياك تنطق هذه الكلمــة مرة أخرى . وقلت أنا لنفسى ان بابا غضب لاننى أضيع وقتى فى كتابة القصص ولا أذهب الى الامتحانات وانه قد غضب أكثر عندما قرأ قصصى فعرف اننى أكتب عنه وعن أصاقائه وعن الناس الذين أراهم فى الشــوارع ، وأسخر منه ومن هؤلاء الناس فى قصصى . أطل وجه ماما من الخلف وقــال بابا مرة أخرى : اسمعى يا ست هــانم ابنك بيقول « القصص » وقلت أنا لمــاما .. غريبة أنا لم أرك عندما دخلت السيارة . وبابا قال : لقد كانت تنام على المقعد الخلفى لأنهــا لا تحب أن ترى الذين يكتبون القصص وكشرت ماما ورأيت

تكشيرتها المعتادة وقالت قولها المعتاد وهو : الى متى يا ولد يا فاقد ستظل تكتب القصص وتسخر من أبيــك ومنى ومن الناس أجمعين • وأخذت أنا أضحك وتذكرت ماما عندما قالت لى مرة : (وكان اخوتى قد وشوا بى عندها وقالوا انه يكتب الشعر ويهمل الدراسة) أتهمل الدراسة يا ولد من أجل الشعر والعزف على الربابة ؟ وقلت فى نفسى : هذه أم غريبة وعجيبة ، تتصور أن الشعراء هم أصحاب ربابة يجلسون على المقــاهى ويشربون الشاى ، ويعزفون •

وقلت : لقد كنت يومها أكتب الشعر ولكننى اليوم أكتب القصة القصيرة وشعرت بالزهو ••

وأفقت من ذكرياتى على سيارتنا وقد ابتعدت كثيرا لدرجة اننى عندما نظرت الى الخلف لم أر الكاتب الفقير الذى يحمل أوراقى أدرت عنقى مرة أخرى ونظرت فى المرآة الصغيرة ورأيت وجه أمى وقلت لبابا :

ــ ولكن قل لى يا أبى العزيز •• وحرك هو عجلة القيادة بمهارة وقال :

ــ ماذا تريد يا ولدى ؟

ــ قــلت :

ـ أريد أن أعـرف كيف عرفت مكانى ووصـلت اليه بالسـيارة ..

ويبدو انه كان سـؤالا غريبا جدا فقد راح أبى يضحك ويهتز ، وماما هى الأخرى أطلت بعنقها من الخلف .. فلم أجد مفرا من الضحك معهما .

اللمس الخفيف

وعلى ذلك فانى أظل واقفا بعيدا وأراها تخطو أولى خطواتها خارج باب المدرسة ويكون التلاميذ قد خرجوا أيضا حاملين الحقائب فوق أكتافهم • وعلى يسارى الكشك الذى اشتريت منه زجاجة من نوع الشويبس برتقال ومن خلفى بيتها الذى لو استدرت فانى لن أستطيع أن أراه لأنه يكون فى هذه اللحظة مختفيا وراء صف قصير من المبانى التى تشبهه تماما • وأرى الشبان الذين يعملون فى طائفة المعمار وهم يسيرون عابرين الشارع • ويقابلهم الرجل الذى أفهم من حديثه الموجه اليهم انه الرئيس ويكون البيت غير المكتمل ظاهرا على بعد أمتار قليلة منى والجير الأبيض متناثرا هنا وهناك •• وصابغا أيادى الشبان باللون الأبيض • وهى هناك قادمة بصحبة السيدة المعلمة التى تصبغ وجنتها باللون الأحمر ولها عيون زرقاء والتلاميذ يسيرون خلفهما ولكن لا ينظرون اليهما بل يضحكون

على أشياء لا أعرفهـا ، ويرتدون ملابس قديمـة ووجوههم خليط من اللون الأسمر والبقع البيضاء التى ليس لها شـكل محدد ومنهم ولد بدين : يظهر من وجهه انه رسب فى الثانويـة العامة عدة مرات يقول لى : ولع لى بطريقة منفرة فأعطى له علبة الكبريت التى تحتوى على عود واحـد ، وأكون فى تلك اللحظة مشعلا سيجارتى الأخيرة ويشعل هو سيجارته بطريقـة أحس من خلالها انه يدخن السجائر بكثرة ، ثم يلقى بعلبـة الكبريت جاعلا اياى أحس بالغيظ فأحاول أن أجعله يتوقف كى أوبخه على ذلك ولكنه يتقدم بسرعة فىاتجاه الأولاد الآخرين ويشد على أياديهم بقوة ، ويتركهم ويدخل العمـارة المكونة من ثلاثة أدوار ويلتفت الى وهو يدخل صانعا بأصابعه حركة من النوع الذى يحب الممثلون أن يصنعوها عندما تنتهى المسرحية . والسيدة ذات العيون الزرقاء ما زالت تتحدث معها وأنا أسير بطريقة بطيئة حتى يصبح وجهى مختفيا خلف الحافة اليسرى للكشك ، حيث الولد الذى قدم لى زجاجة الشويبس ـ يطلى الكشك من الداخل بطـلاء لونه أزرق . وتتوقف هى على الرصيف الآخر ، وتشير فى اتجـاه الشارع الصغير الذى يفصل طابورين من البيوت وأدرك وأنا أنظر بعين واحدة انها تخبر السيدة بمكان البيت الذى تعيش فيه ، وتروح السيدة تتساءل باشارة من الأصبع الكبير فى يدها اليسرى فأخاف أنا ألا تعرف

من خلال الاشـــارات مكان البيت بالضبط فيكون ذلك سببا كافيـــا لكى تكمل المشـــوار معها ، حتى تصـــلا ســـويا الى البيت وتقفا أمامه مباشرة ، فتعرف الســـيدة معرفة أكيدة ان هذا هو البيت فعلا • ولكنها تبتسم أخيرا وتودع الســـيدة فأرى ملامحها واضحة أمامى مذكرة اياى بها بعد وقت طويل لم أكن قد رأيتها فيه ، وأحس أننى أحبهـــا حقا وفى احتياج اليها جد شديد ، وتروح ملامح الآخرين ترتسم أمامى قائلة لى أن أبتعد عنها ولكنى أقرر الا أصغى ، وأتقدم خلفها ــ وكانت قد عبرتنى دون أن ترانى ــ مقررا أن ألمس البالطو الأزرق لمسة خفيفـــة فوق الكتف لتنتبه هى ثم تدير رأســـها للخلف كيما ترانى •

العميـــان

قد كان للزريبة فتحة فى الحائط حيث كانت الشمس تدخل وجدى جالس تحت الجاموســة ويجعل اللبن يتساقط فى الشلية ثم يناول الأخـيرة الى الصـغيرة فتدخل بها جزء البيت المبنى بالطوب • والرجال العميان كانوا جالسين فى الحوش يرتلون القرآن على روح خالتى •• دخلت الصغيرة بالشلية ووضعتهـا بجانب جدتى وغمرت وجههـا الأبخرة التى تصـاعدت حين رفعت جدتى غطاء الحلة ولسعها البخار لسعا خفيفا فتأوهت وابتعدت حتى التصق ظهرها بالحـائط • غطست جدتى معلقتها فى الشلية وتذوقت ثم أثنت على اللبن وقالت كلاما عن جدى • كان ترتيل العميان يصـل الى جدتى خافتا فى البداية ولكن عندما ارتفع صوت الأعمى الذى يجلس فى المنتصف ، شعرت جدتى بالانزعاج وأمرت الصغيرة أن تذهب اليه وتجعله يكف عن ذلك • جرت الصغيرة ووقعت على أنفها بينما كانت تعبر

العتبة التى تفصل البيت عن الحوش ، ولما وضعت يدها فوق أنفها وشاهدت الدم ، خافت وقررت الا تخبر الأعمى ، وأمسكت بصورة خالتى التى سقطت من جيب فستانها • دخلت الزريبة وهى تبكى وأخبرت جدى بما حدث وأرته الصورة وقد تلوثت بالدم فشاهد خالتى وهى تبتسم بينما كان الدم قد التصق بخصلة شعرها وبلل ملابسها المدرسية•قام جدى وفاحت منه رائحة اللبن وحين أصبح فى الحوش رأته جدتى وقالت : صباح الخير يا حاج فانتبه العميان وأداروا رؤوسهم ناحيتها حيث كانت واقفة وتحمل وعاء كبيرا مملوءا بالطعام قال جدى : صباح الخير ثم سار الى الأمام واخترق المسافة الكائنة بين اثنين من العميان وداس حذاؤه الكبير طرف الرداء الذى يرتديه الأعمى الذى فى المنتصف • جفل العميان وتحركوا فى كل اتجاه مما جعل المسافات التى بينهم تتسع وخلف جدى العميان وراءه وراح حذاؤه يدوس فوق الأغصان الجافة ويجعلها تتكسر ولما أصبح على وشك الخروج من البوابة راح العميان يعاودون الاقتراب بينما كانت جدتى تنزل الوعاء من فوق رأسها وتضعه على الأرض •

الحجرة ذات السقف الواطىء

وروعت فى البداية الا اننى ابتسمت بعد ذلك لأن حياتى كانت سلسلة من الاخطاء وكانت هى واقفة هنـاك وبصحبتها الشاب الأسمر الذى قالت عنه ذات مرة انه قريبها من بعيد وكان يرتدى ملابس صيفية ويضحك ويقول لها كلاما كثيرا الا اننى لم أكن أسمعه لاننى كنت واقفا وبينى وبينهما الكثير من البشر ، وكان هؤلاء البشر يرقصـون ويقولون لبعضهم كلاما أثنـاء الرقص ، وراح هو يقبلها وعندما استكانت الى صـدره أخيرا رأيت جسدها من الخلف ورأيت أن فستانها بلا ظهر تقريبا .

وكانت الفتـاة الواقفـة على يسـارى تنظر الى جموع الراقصين ثم تحول نظرتها الى ولمـا رأتنى مهتما بالنظر من خلال الراقصين فعلت مثل ما أفعل تماما ورأيتها وقد ابتعدت الآن عن صـدره وراحت تسوى شعرها الأسود الملموم قالت

الفتاة : هى دى ؟ واشارت اليها بالحـاح كى لا تجعلنى أزوغ كعادتى عندما يتم سؤالى عن أشياء كهذه وقلت أنا : آه .. وذهبت الى الشرفة التى تطل على الحديقة .

ومر وقت قصـير وبعده فوجئت بيدين تغطيـان وجهى وأصبح العالم مظلما . وقالت الفتاة : أنا مين ؟ وراحت تضحك ولمـا أبعدت يديها رحت أرى الحديقة مرة أخرى وقالت هى : مش هتعقل بقى ؟ وأخذت عيناها تتألقان فى ضـوء الشرفـة ونظرت أنا الى يديها ورأيت دموعى وقد بللت أصابعها الرفيعة وقالت الفتاة : لا تكن مغفلا .. وطلبت منى أن احمد الله لأن المسألة انتهت عند هذا الحد .

وتركت الفتاة وعبرت الصالة ودخلت الى الحجرة الكبيرة ورأيت أمها مستلقية فوق السرير وهى ترتدى ملابس السـهرة ودنوت منها وقامت هى قليلا واتكأت بظهرها على الوسـادة البيضاء وصافحتها ثم قبلت يدها فقبلت هى الأخرى فى حـركة سريعة جدا وقالت : يا حبيبى .. وكان وجهها مليئا بالبودرة . وقدرت بينى وبين نفسى ان عمرها قد أصبح فوق الخمسـين بقليل ورحت أرى صـورتها فى المرآة ثم نظرت اليها ورأيت شعرها الحقيقى ظاهرا تحت الباروكة واستلقت هى من جديد وألقت بالوسـادة فوق السجادة ونظرت الى السقف وتمتمت

بكلام لم أفهمه ثم رجتنى أن أفتح النافذة وفتحت النافذة ورأيت الكمسارى واقفا على سلم الترام ويلوح للناس بيديه وعندما هم واحد من هؤلاء الناس بالقفز فى الترام رأيت الذى يقف بجواره وهو يشده من ملابسه .

وعندما استدرت رأيتها تحرك مروحة ورقية أمام وجهها وقالت ان الهواء الذى يدخل من النافذة غير كاف على الاطلاق وفتحت زجاجة صغيرة موضـوعة فوق التسريحـة وأخرجت برشامة ثم بلعتها دون أن تشرب وراءها مـاء وجلست أنا فوق حافة السرير ونظرت الى حذائى الأسـود اللامع ورأيته وقد تلوث ببقعة صغيرة لونها أبيض وقلت لها : شوفى .. وقربت الحذاء من وجهها وارتدت هى النظـارة التى كانت موضـوعة تحت الوسادة التى لونها أزرق وضحكت بعد ذلك وقالت .. ان الحذاء قد تلوث بقطعة صغيرة من التورتة وراحت تشـير الى الذين يرقصـون وقـالت : انت ما بترقص ليه ؟ وخلعت النظارة وأمسكت جبهتها بأصابعها الصغيرة المكتنزة وأخبرتنى أنها ترى الراقصين بدون النظارة أفضـل مما لو كانت ترتديها. ورأيت ثلاثة أرباع ثدييهـا وقـد أصبحت ظاهرة من خـلال الفستان الطويل الذى ترتديه ولاحظت أن هذين النهدين لامعين للغاية وعزيت ذلك الى النجفـة كثيرة المصـابيح والتى توجد

قريبة جدا من رأسها ودخلت الفتاة فى تلك اللحظة وهى منحنية للأمام فأمرتها بصوت مرتفع أن تقترب منى وبعد ذلك نهضت وطلبت منها أن تقف مثلى .. فرفعت رأسها وكاد شعرها يحتك بسقف الحجرة وراح ذلك يغضبها قليلا وقالت انها لم تكن لترضخ لهذا الأمر لو انه صدر من رجل آخر . وقالت الأم : هى لسه واقفة معاه ؟ وقالت الفتاة : أيوه يا تانت.. ونظرت من فوق رأسى وقالت : الدنيا برد ..

ورأيت الأم وهى تتحرك فوق السرير ثم تمد أصبعها الصغير وتدفع الضلفة للأمام ، ولما صعدت الفتاة فوق السرير أمرتها الأم الا تغلق الضلفة الأخرى وجاء صوت الترام وهو يتحرك فوق القضبان . ونزلت الفتاة من فوق السرير وشدت زجاجة ويسكى من نوع البلاك اند هويت من تحت السرير وقالت : فين الكبايات وأخرجت الأم كوبا من تحت اللحاف وقدمته للفتاة بيدها اليسرى بينما كانت يدها اليمنى تهز المروحة بطريقة سريعة .. وقالت الفتاة : هاتى كباية تانية والنبى .. وصبت الويسكى فى الكوب وقدمته لى .. وبعد ذلك .. صبت الويسكى فى الكوب .. الذى أعطته لها الأم وشربت الكأس مرة واحدة دون أن يكون مختلطا بالثلج أو بالصودا ورشفت أنا رشفة واحدة من كأسى ثم جلست فوق

السـجادة بحيث أصبح حـذاء الفتـاة الأيمن يجـاور فردة حذائى الملوثة •• ورأيت فأرا صغيرا يطل من خلف التسريحـة فنهضت فوق ركبتى واقتربت من السرير وشممت رائحة اللحاف الذى كان منسدلا على جانبه وقلت : ماما •• ولكنها لم ترد • وقلت : ماما •• مرة أخرى ونظرت الى شـعرها الذى كان ظاهرا كله الآن اذ أن الباروكة كانت قد سقطت فوق الملاءة • وراح صـوت شخيرها الواطىء يصـل الى فقررت أن أتركها وقلت فى نفسى ان مسألة الفأر ليست من الأهمية بحيث تجعلنى أوقظها •• وجلست مرة أخرى فوق السجادة وأسندت قفاى فوق حافـة السرير واستلقت الفتـاة وجعلت خدهـا يلامس السجادة وقالت ان ملمسها ناعم جدا وشربت الكأس الثانى وقالت : مش عاوز تنساها ؟ ثم أشـارت الى كأسى وقالت اشرب • وترددت أنا قليلا وشربت الكأس مرة واحدة وقلت : ياه •• اذ ان نارا راحت تحرق زورى وقالت الفتـاة : عيب تعمـل كده •• أنت مش صغير » وراحت تهرش قفاهـا •• واستمعت أنا الى شخير الأم الذى راح يرتفع الآن وقلت بصوت منخفض اننى لم أكن أحبها أبدا ولكننى زعلان جدا بعد أن رأيتها تعانق رجلا آخر •• وقالت الفتاة : يا سيدى •• وأمسكت نملة كانت تسير فوق قفاها وأرتهـا لى ثم ملأت كأسى بكمية كبيرة من الويسكى وقالت اشرب • وكان صوتها ناعما فى تلك

اللحظة أكثر من أى وقت مضى وقلت أنا : هـذا نوع قوى جدا من انويسكى وجرعت الكأس مرة واحدة ولم أصـدر أى صوت ولا عبر وجهى عن أى ألم •• وقالت الفتاة : برافو •• وأخذت تضحك بصـوت مرتفع • فاستيقظت الأم وقالت : فيه ايه ؟ ونظرت الى لمدة دقيقة واحدة ثم نامت مرة أخرى •• عندئذ قالت الفتاة بصـوت منخفض للغاية : تعال •• فاقتربت منها حتى أصبحت بجوارها تماما ، ثم مددت يدى وأمسـكت رأسها وجعلت خدها الأيمن يلاصـق خدى الأيسر وشـعرت بالراحـة •

الشـــرائط

أفقت من غيبوبة المساء حاملا حقيبتى •• كانت الشرفـة الزجاجية تحمل لنا أنوار المـأتم الكبير وأبواق السيارات كانت قد ولدت فى آذاننـا صـوتا مألوفا • قـال الرجل : صدق الله العظيم فارتفعت أصـوات الأبواق لأن كل سيارة كانت تريد ان تسبق الأخرى وفى احداها وضعت حقيبتى متجـاورا مع الرجل البدين ذى الخـاتم الفضى وحين أصبحنا فى الشـارع المضىء رأيت الخاتم يصبح ذهبيا ويرتسم عليه رجل مصلوب • نزل المصلوب من فوق خاتمـه وحط فى حقيبتى فازداد حملهـا عندما حملتها أخيرا متوجها الى المكان الذى أشار اليه الرجل البدين وحين وقفت أخيرا متطلعـا الى المكان رأيت سيارته فى اتجاه الشارع المهجور •

وأشارت لى امرأة لابسة سوادا من شرفة معتمة • ارتديت النظارة المخصصـة لذلك ورأيت سـوادها داكنا ولاحت من

خلاله أزرار نحاسية وبينما كنت أضـــع الحقيبـــة فوق افريز الشرفة كانت تعطى لى ظهرها ورأيت شعرها وقد تشكل أصابع شقراء منسدلة فوق قفاها ٠

حكيت لها انهم وضعوه فى النعش فى الصباح وان رجالا كثيرين غسلوه حتى أصبح جسده لامعا من شـــدة الغسيل بينما راحت هى تضـــع أمامى كل الخطابات التى كتبها فى الليـــلة الأخـــيرة ٠

كانت كل الخطابات زرقاء وخطها كان يدل على انه سوف يموت غدا ٠

قالت ذلك بينما كانت تمزج المـــاء بالليمون وقطع السكر من الصناديق المغلقة بالرايات الخشنة ٠

قلت : صناديق كبيرة تلك ومملوءة بالسكر ٠٠ وأمرتهـــا أن تدهنها غدا بالسواد فبكت وقالت ان ذلك ليس فى استطاعتها بينما طرقع بوق الســـيارة وخرج الرجـــل البدين وألقى الينا بالخاتم كانت قوته عظيمة وارتطم الخاتم بأرض الغرفة وتقدمنا ورأيناه أخيرا محطمـــا فوق الأرض الخشبية وفى ذلك الوقت كانت الحجرات الأخرى قد راحت تتراقص فى الضوء الآتى من القمر وشعاع من أشعة القمر توجه مباشرة الى حقيبتى التى كانت

مزدانة بالشرائط فككت الشرائط وجعلتها تنام فوق السرير كانت شرائط طولية وعرضية وخلقت فيما بينها مربعات ورحت أضع ذاكرتى وجلست فى الشرفة محاولا أن أتذكرولكن هيهات لأن ذاكرتى كلها كانت قد رصت رصا منتظما .

وأخرجت هى الأوراق من حقيبتى وراحت تقرأها كنت أنا قد فعلت المستحيل كى أنظمهـا وكانت قد أصبحت أخيرا مرقمة بطريقة زمنية متتالية وهكذا قرأت هى العشرين ورقـة الأولى ثم نظرت فيما بين المربعات فهالها التناسق الشديد بين ما تقرأ وبين ما تراه على السرير .

رأت المربعات العلوية مرصوصة بشكل أفقى وقالت : هذه طفولتك .. أليس كذلك ؟

فأومأت برأسى موافقـا اذ أننى كنت احتفظت بورقـة أخيرة تدل على النظام الذى اتبعته فى رص ذكرياتى ثم بكيت لأنه كان مكتوبا فى الورقة ان أبكى وراحت علامات ترتسم فوق وجهها وهى تشاهد بقية المربعات وحين هممت بالنظر الى المربع الأخير طرقع بوق السيارة فى الأسفل فأخذتنى من يدى حتى أصبحنا فى الشرفة ثم علقت الشرائط بالمشابك على حبل الغسيل فراحت الريح تحركها يمينا ويسارا ولمـا هممت بتوجيه الكلام الى الرجل البدين أسكتها هو باشارة من يده وقال :

لا تنطقى سيدتى : شرائطه تدل عليه ووجهك خير معبر ثم أقسم بالعصر الذى نعيشه ليفعلن من أجلى فوق ما يفعله البشر •

الا انه استدرك قائلا :

ـ ولكن لتعلم سيدتى ـ وهى خير العارفين ـ ان يدى جد قصيرة ونظرى جد كليل •

الصعود الى خشبة المسرح

ودخلت الى المسرح الذى يديره أبى ورأيت الفرقة الموسيقية التى يقودها أخى الكبير : كان واقفا ورأسه الصلعاء تلمع فى الضوء الخفيف الآتى من السقف بينما كان أحد العازفين يصلح آلته فى بطء . وأخى يوجه اليه الشتائم وقلت فى نفسى يا لها من أمسية رديئة وجلست فوق المقعد المكسور فى آخر الصالة ومر أبى وكانت بجواره أمى ــ من خلف المقعد الا انهما لم يعيرانى أى انتباه وقال أبى لأمى :

ــ اليوم بروفة جينرال .. وعندما التفت رأيتها تنظر فى وجهه وقد فتحت فمها الصغير وقال أبى :

ــ غدا يبدأ العرض واليوم بروفة جينرال .. وهكذا استدرت بعنقى ورحت أواجه الفرقة الموسيقية وتعمق احساسى

برداءة تلك الأمسية وقال أخى للعازف لابد لك من أن تغيرها من زمن طويل وانت تعزف بها •• لابد ان تغيرها •• وساد بعد ذلك صمت •• ووجدتنى أفتح حقيبتى السوداء ذات البقع وأخرج أوراقى البيضاء المتسخة ووقفت ورحت أشير الى أبى الذى كان قد وقف الآن على خشبة المسرح ويده اليمنى تشير الى الجهة اليسرى من الخشبة حيث كان مقدرا لأول ممثل يظهر على المسرح أن يدخل من خلالها • وانطفأ النور لحظتها ، ولم أعد أرى أبى الا أننى كنت مدركا انه لابد واقف فى نفس المكان ويشير نفس الاشارة وجلست على مقعدى من جديد ورحت أتحسس أوراقى ، بينما كان عزف الآلة القديمة قد بدأ يرتفع فى نشاز ، وصاح أخى أحدكم يعزف نشازا وأنا أعرفه رغم الظلام وقال مكررا عليك بتغييرها • وسمعت صوت العازف وهو يقول فى انهزام : حاضر •• بينما راحت قطرات المطر تحدث دبيبا خفيفا فوق سقف المسرح • وأضاء المسرح فجأة ورأيت أختى تخطو أولى خطواتها داخل الصالة من الباب المفضى الى الخارج وأخذت تضحك ورفعت الورقة الكبيرة ووقفت تحت المصباح ورأيت الورقة وقد امتلأت كلها بالصلبان •• قالت أختى كومبليت •• وزاد ضحكها بينما راحت أمى تعدو بين صفوف المقاعد كى تصل اليها •• كان أبى الآن قد وقف فى أعلى المسرح ، فى تلك البقعة التى لا يمكن

الوصول اليها الا بمشقة وراحت أختى تشير اليه بالورقة وتكرر نفس الكلمة •• وعندما وصلت أمى اليها أخذتا تتجاذبان الورقة ، الا أن أمى لم تكن تضحك والتفت أخى الكبير لأول مرة ورأيت لحيته السوداء المتماسكة وصاح : حذار أن تمزقا الورقة •• ثم استدار الى الفرقة من جديد وأشار الى العازف وقال له :

جاهز ؟ •• تلعثم العازف قليلا وقال أيوه •• ثم ثنى ساقيه وأراحهما تحت الكرسى •• قال أخى : بمقدورك ان تعزف الآن •• أليس كذلك ؟ •• نظر العازف الى أخى نظرة حزينة وقال : تحت أمرك يا مايسترو •• وبعد قليل بدأ العزف الخفيف ذو الأصوات المنخفضة وأطفأ أحدهم المصباح ولم أعد أرى أختى وأمى الا بصعوبة وبدأت أسمع صوت حذاء أبى وهو يدوس الأرض وعندما توقف الصوت أدركت انه قد أصبح خلفى ، وبدأت رائحة عرقه تصل الى أنفى وحين لمس كتفى وقفت بصعوبة وسقطت منى الأوراق المتسخة ابتسم أبى وقال : جاهز ؟ وفكرت فى اننى لست مستعدا على الاطلاق • سأخذلهم لا محالة •• فى أننى لم أعد أستطيع أن أواصل •• الا اننى انحنيت ورفعت الأوراق من فوق الأرض وقد زادت اتساخا ، وقلت : نعم يا أبى جاهز فعلا •

وتقدمت من ناحية اليمين ، ومررت من جوار آمى وأختى وسمعتهما تتهامسان ، وجاورت أخى الكبير لمدة قصيرة جدا ، ورأيت صلعته النظيفة ولمـا صعدت الى خشبة المسرح أخيرا أحدث ذلك صوتا خفيفا جعل العازف ينتبه الى فرأيت وجهه الصغير وقد بلله العرق •

محاولة للتذكر
أمام مدخل المدينة

وقالت هى : أوه .. أأنت مازلت حيا ؟ وكان وجهها ملطخا بالأصباغ .. لم نكن قد التقينا منذ سنوات ، الا أن كلا منا لم يكف لحظة عن تذكر الآخر . لقد كانت واقفة بمدخل المدينة ، وكان عن يمينها بعض اصص الزهور ، وعن يسارها المقابر قالت : جئت لأقرأ الفاتحة ولكن ما يحزننى أننى أفشل دائما فى التعرف على قبرها . وتقدمت خطوة وقالت الآخرون مثلى أيضا ، يقف كل منهم أمام أى قبر اعتباطا ويقرأ الفاتحة وبعد أن نغادر المكان يأتينا الاحساس بأن كلا منا قد قرأ الفاتحة على ميت الآخر وراحت تبكى ، وتساقطت دموعها على ياقة البلوزة السوداء . لم يكن هناك أحد سوانا ، وأخذت الريح تصفع وجهينا بقسوة ، قلت لم أرك منذ سنوات أليس كذلك محاولا أن أدير حديثا ، فنظرت فى عيونى بنفس الطريقة التى دأبت عليها قديما ودفعة واحدة غمرتنى الأحاسيس التى كانت

تأتيني منتظمـــة عندما كانت تنظر الى تلك النظرة فى الزمـــان القديم • قلت : « ياه انت كما انت لم يتغير فيـــك شيء اللهم الا تلك الأصباغ » ، ابتسمت ثم فتحت حقيبتها المصنوعة من القماش ، وأخرجت أدوات مكياجهـــا واحدة فى اثر أخرى ، وراحت تستعملها • كانت الأدوات قد صدئت ، ورحت أنا أتذكر يوم اشتريناها ســـويا ، والمرة الأولى التى جلست فيها أمام التسريحة وراحت تستعملها •

قلت : ولم تكن تلك أبدا طريقتك فى وضع المكيـــاج ، ثم رحت أغلق أزرار الجاكت الأخضر ، محـــاولا التخفيف عن نفسى ، اذ كانت صفعات الرياح قد ارهقتنى قليـــلا • ابتسمت هى وقالت : ربما تغيرت فيك بعض الأشياء ، الا أن طريقتك فى اغلاق الأزرار لم تتغير بعد • ولمـــا ضحكت قالت : أنـــا لم أجلس منذ الصباح • ورجعت خطوتين ، ثم جلست على صخرة بيضاء مرتفعة ، وحين فعلت ذلك أخذت الرياح تبعثر شـــعرها للخلف وأدى ذلك الى انكشـــاف مساحة وجهها كلها واستطعت رغم الطـــلاء السميك أن أتبين مساحة الصفار التى غشـــت بياض الوجه ونضرته • قلت : تغيرت كثيرا • وليس ذلك بالشيء الذى يفرحنى الآن •• ما الذى حدث هـــه ؟ •• وأخذت أحاول التخفيف عن نفسى من ثقل المشاعر التى لم تكن تريحنى على

الاطلاق • ولمـا بدأت أنظر ناحية المقابر من جديد وضعت هى حقيبتها على الصخرة ، ثم عدلت من وضـع جونلتها وقالت من المؤكد انك قد رأيتها يوما ما ، كانت صداقتنا قد بدأت أيام كنـا نعرف بعضينا ،ولابد اننا قابلناها سـويا فى مطعم أو فى شارع أو على محطـة أتوبيس أو أى شىء من هذا القبيل • كنا على بعد أمتار قليلة من المقابر ، وكانوا قد دهنوها باللون الأصفر المرير ، وكان طائر عجوز قد جاء وحط فوق قبر ثم راح يصدر أصـواتا • أما أنا فقد كنت مأخوذا بتلك الطريقـة البدائية التى اتبعها البناءون فى بناء تلك المقابر • لم يكن هناك شاهد واحد وهكذا أيقنت أن المسألة لم تكن مزاحا ، وان مرتادى هـذا المكان القصى من المدينة يفشلون حقا فى التعرف على المقبرة التى تخص ذويهم • وتنبهت على صوتها وهى تقول•• هل تذكرها ؟ لقد كانت شـقراء بعض الشىء ، وكان لونهـا قريبا من تلك الزهرة • وأشارت الى اصيص الزهور الأول فى ترتيب الأصص التى كانت كثيرة ومرتبـة وتشبه بعضها فى اللون والحجم •• قلت لا أعتقـد اننى رأيتهـا ، رغم مرور السنوات الا اننى مازلت أذكر ، لم أنس أبدا كل الأماكن التى ارتدناها سـويا ، ولا الوجوه التى توقفنا هنا وهنـاك كى نبادلها الابتسام أو تتحدث معها ولو قليـلا ، أذكر صديقتك النحيفـة التى كانت ترتدى أسـمالا حين قابلناها على محطـة

الأتوبيس ، كانت قد همت بالقفز فى الأتوبيس ، أشرت أنت اليها قائله ، أفقر صـــديقاتى ، وكانت هى قد رأتنـــا ولكن الوقت كان قد فات فلوحت لنا والأتوبيس يتحرك •• وأذكر صديقتك المولعة بالجنس وكنا رأيناها بصحبة شاب كما أذكر صديقتك الكبيرة سنا بوجهها الذى كان يجعلنى أتشاءم •• أذكر عددا من الوجوه ، ولكن وجه صديقتك تلك ، لا أعتقد أننى قد رأيته •• كنت وأنا أتحدث أنظر الى أصص الزهور ، ولمـــا انهيت حديثى التفت ونظرت الى وجهها ، فرأيت نظرتهـــا الحزينة الأليفة ، نظرت الى الأرض وقالت : لابد أنك رأيتها ، كنت وهى صديقتين أيام كنت تعرفنى •• ومرة أخرى بدأت أحاول •• مررت بكل الأماكن وتذكرت كل الوجوه ، وتمنيت بشدة لو أننى كنت قد قابلتها بالفعل •• ولمـــا بان التأثر على وجهى قالت هى : لقد أزف الوقت •• وقامت من فوق الصخرة وحملت حقيبتها • كان الغروب قد بدأ ، ومن بعيد لاح أول أتوبيس ســـوف يدخل المدينة فى هذا اليوم محمـــلا بالناس الذين غادروها صباحـــا ويعودون اليهـــا الآن •• نظرت الى الأتوبيس وقالت : سوف أقف الآن أمام قبر وأقرأ الفاتحة • أشرت الى المقابر واخترت واحدة وقلت : ليتك تقفين أمام تلك المقبرة • تلعثمت قليلا وهى تقول : لا أستطيع ذلك فتلك هى المقبرة التى وقفت أمامها فى المرة السابقة •• صافحتها وأنـــا

انظر باتجاه المدينـــة وقلت : معذرة الوقت قد أزف فعلا ..
وتركتها ، وخطوت أولى خطواتى باتجـــاه المدينة ، وسمعتها
تقول : ليتك كنت قد تذكرتهـــا .. ولمـــا استمعت الى ذلك
راودتنى رغبة فى التوقف والعودة اليها واحتضانها ، الا أننى
عدلت عن ذلك ، وواصلت السير ، ورأيت معالم المدينة .

النافــــذة المرتفعـــة

ووضعت هى الكرسى بجـانب الحائط ثم صعدت فوقه ونظرت الى أسفل من خلال النافـذة وقالت : الراجل لســه واقف •• ثم نزلت من فوق الكرسى وقالت : أنا خايفــة •• وكان شعرها متناثرا من أثر العراك الخفيف الذى دار بيننــا وذهبت الى المرآة المثبتة على الحـائط بينما أخـذت أحس بالألم • قالت وهى تنظر فى المرآة : لازم تروح لدكتور •• وراح صوت الرجل يأتى الينا عبر النافذة • وضعت يدى اليسرى فوق جانب صـدرى ورحت اتحرك ببطء فى اتجاه الأريـكة وبينما كنت أوسـد رأسى خشب الأريكة القاسى أخذت أرى فخذيها النحيلين بعد أن تحررا ، اذ كانت الريح قد دخلت قوية من خلال النافذة ورفعت فستانها لأعلى وقالت : هى •• أنـا شايفاك •• أنت نايم فوق الكنبة •• مش كده •

ومددت ذراعى على استقامته وفارقت ما بين أصابعى وقالت هى : لسه حاسس بالوجع ؟ ومررت الأصبع السبابة فى يدها اليمنى فوق حاجبها الأسود الكثيف فى حين كانت أصابع قدميها الحافيتين تضغط بلاط الحجرة فى عصبية وأمسكت أنا بطرف اللحاف الأبيض السميك وغطيت جسدى وجاءت هى وقالت شد اللحاف عليك وراحت ترفع اللحاف من فوق البلاط . وقالت أنت وسخت اللحاف .. وحكت أصبعها ببلاط الصالة ثم رفعت الأصبع فرأيته وقد تلوث بالتراب ورحت أزيح اللحاف لليسار وأنا أستمع الى صوت المطرب الآتى من المذياع فى الشقة المجاورة وقالت هى : صوته وحش قوى وأخذت تضحك فبانت اسنانها الصفراء من أثر التدخين .

وراحت تتجشأ لأنها كانت قد أكلت بصارة مع أمها وأخذت أثناء ما تتجشأ تهرش ما بين فخذيها وقالت وهى تهرش : أنا عندى تنيا قلت : مش معقول .. فجلست فوق البلاط وأخرجت روشته متآكله وعليها بقع كثيرة من حقيبة يدها الصفراء الممزقة الحواف وقالت شايف ؟ بعد ان قربت الروشتة من وجهى .ورحت أشم رائحة غير مستحبة وكانت بقعة من الدم قد أصبحت ظاهرة الآن فوق حرف آر المكتوب فى أعلى الروشتة ولما سألتها عن تلك البقعة أجابت بانه دم بقة من البق الكثير..

الذى يوجد فى شقتهم وقالت انها كانت ممسكة بالروشتة ورأت البقة تسير فوق خشب السرير ففعصتها بالروشتة • ووضعت الروشتة فى الحقيبة وقالت : الحمد لله ثم اخبرتنى ان الطبيب قال لها ان مرض التنيا أهون بكثير من المرض القديم الذى لازمها شهورا واستدارت ثم انحنت وقبلتنى فشممت رائحة الطعمية التى كنا قد أكلناها سويا منذ قليل وقالت تحب تشوف ؟ وابتسمت أنا وقلت : وماله ؟ ثم نمت فوق جانب جسدى الأيمن وخلعت هى الثوب النظيف فبان انها ترتدى سوتيان ممزقا من الخلف قليلا وجلست على حافة الأريكة ثم فكت مشبك السوتيان • وقربت وجهى من ظهرها ورأيت الآثار وقد انتشرت فى جميع أجزائه ورأيت ندبة كبيرة فى المنطقة التى كان يغطيها مشبك السوتيان وسألتها عن تلك الندبة فأشارت اليها بأظفرها المطلى بالمونوكير الأحمر الرخيص وقالت: دى أكثر حتة كنت باحب أهرش فيها وآخر حتة طابت • وقامت ثم ارتدت الثوب وقالت : اتأخر شوية •• ثم نامت بجانبى ومدت ذراعها للوراء فشممت الرائحة المنبعثة من ابطها الأيسر ، ودفست أنفى فى اللحاف •• وقالت هى : متأخذنيش ومدت يدها اليمنى وأخرجت من حقيبتها زجاجة كولونيا من نوع الثلاث خمسات وراحت تضع الكولونيا تحت ابطها القريب منى

وتحت ابطها الآخر أيضـا وسكبت كمية قليلة فوق الأصبع السبابة فى يدها اليمنى ثم مررت الأصبع خلف أذنى وأخبرتنى وهى تفعل ذلك انهـا تعرف نسـاء كثيرات لا يضطررن الى الاستحمام الكثير لأن عرقهن ليس له رائحة ، وعزت رائحتها الى حبها الشـديد للحلبة •• وقالت وهى تنهض وتضـع الزجاجة بجانب الكنبة : عندك شاى ؟ وقلت أنا : آه •• واشرت الى المطبخ •• قالت والنبى تقوم تعملنـا كبيتين •• وكشرت قليلا وقلت : والله ما أنا قادر •• ونهضت هى وقالت : أمرى لله •• وسارت الى المطبخ وراحت مؤخرتها تهتز ، ولاحظت ان جانب مؤخرتها الأيسر أكثر انبعاجا من الجانب الأيمن •

ووضعت يدى على المكان الذى كانت ترقد فوقه وشعرت به دافئا ثم حركت جسدى وأصبحت أنام فوق جانبى الأيسر فانطلقت الغـازات التى كنت أكتمهـا حتى تلك اللحظـة • وصاحت هى : سـمعاك •• وأخـذت تضحك وتحرك العلب الموجودة فوق الرف الوحيد المثبت بحـائط المطبخ •• ونهضت ودخلت الى دورة المياه وقرفصت ونظرت الى الباب وشاهدت الكرتونة المزقـة التى كنت قد وضعتهـا بدلا من الزجـاج المكسور ــ وقد اتسخت اتساخا شديدا ــ وقلت فى نفسى : لابد من تغييرها •

ومر بعد ذلك وقت طويل ، ولمـا أصبحت على وشـك الانتهاء رأيتها تنظر من خلال الكرتونة وتقول : اخلص بقى • ففتحت الحنفية وأخذت أحرك الخرطوم فى اتجاهات مختلفـة كى أكون قادرا على ازاحة البول ذى الرغاوى من فوق مقدمة المرحاض ، واغتسلت ونهضت متثائلا وأظلمت الدنيا لمدة وجيزة ثم راحت الأشياء تعود للظهور وقد اختلطت بدوائر صغيرة من الضـياء واستمرت الدوائر فى الظهور حتى فتحت البـاب ثم أغلقته كى أمنع تسرب الرائحة •

وحين أصبحت فى الحجرة رأيت كوبين مملوءين بالحلبة وقد راح البخـار يتصـاعد من سطحيهمـا ونظرت هى الى وابتسمت ثم أخبرتنى انها وجدت فى المطبخ علبة من الصفيح مملوءة بالحلبة فقالت فى نفسها والنبى لأعمل حلبة •• وصمتت قليلا ثم قالت : أصل كتر الشاى بيحرق الدم •• وتناولت كوبا ورشفت الحلبة بصوت مسموع وقالت : تعال اقعد جنبى •• فتقدمت وجلست بجانبها فوق البلاط مباشرة وقدمت لى كوب الحلبة الآخر ، فتناولته بيدى اليسرى بينما رحت أمسح بيدى اليمنى الحلبة التى سالت على جانب فمها الأيسر • وقالت هى : ريحة ايدك وحشة كده ليه وارتبكت أنا وقلت : معلش •• وتذكرت أننى نسيت أن أنظف يدى بالصابون •

وعاد صوت الرجل مرتفعا أكثر من أى مرة سابقة ودخل الينا من خلال النافذة وقالت هى : تانى •• وكشرت قليلا بينما كانت ترشف الرشفة الأخيرة •• ووضعت كوبها فوق الصينية الخشبية المقروضـــة الحواف ثم وقفت فوق الكرسى ونظرت من خلال النافذة وقالت وهى تنظر بتركيز : قالع القميص وناس كثيرة واقفة حواليه واستلقيت أنا فوق البلاط ورحت انظر الى فخذيها •• وقالت هى ماسك سكينة فى ايده الشمال •• وأشرت الى النافذة وقلت : اقفليها ، منزعجا من شتائمه التى راح يوجهها الى كل سكان الشارع وترددت هى قليلا ثم أغلقتها وظلت بعد ذلك واقفة فوق الكرسى وعاودت النظر الى فخذيها •

ولمـــا هبطت أخيرا اصطدمت قدمها اليمنى بالكوب الذى كنت قد وضعتـــه بجـــانب الكرسى فانسكبت الحلبـــة فوق البلاط •• غطت وجهها بكلتـــا يديها وقالت : أنا مش مرتاحـــة وراحت ترتعش ونهضت ووقفت أمامهـــا ثم أمسكت بيديهـــا وأزحتهما وقلت : متخفيش وقالت هى : أبويا كان زيه •• كان ديما يقلع هدومه ويقف يتخـــانق فى الشارع وأخذتها فى صدرى ودفست أنفى فى عنقها المتسخ وقالت هى : الله يرحمك يابا •• ثم ابعدت رأسى عن عنقها واعتقدت انها ســـوف تبكى ورأيتها وهى تجاهد كى توقف ارتعاش جسدها •• وأخذت أمرر أصبعى

فوق الجزء العلوى من أنفها ولطمتها على خدها الأيمن لطمات خفيفة متعاقبة . ولما ابتسمت أخيرا دسست يدى اليمنى غير النظيفة فى شعرها الخشن الكثيف فتنهدت بعمق وشعرت أنا بالرغبة فيها أكثر من أى وقت مضى .

والتصقت بها التصاقا شديدا ورحنا نقبل بعضنا البعض وشممت رائحة فمها وقد أصبحت مزيجا من رائحة الطعمية ورائحة الحلبة وحين استلقينا أخيرا فوق البلاط اصطدمت رأسها بحقيبة يدها الملقاه بغير عناية .. ومددت يدى اليمنى وأزحت الحقيبة بعنف ناحية اليسار فاصطدمت الحقيبة بزجاجة الكولونيا وجعلتها تقع محدثة صوتا شهقت هى وقالت : قزازة الكولونيا والتفتت برأسها ناحية الزجاجة وعندما أيقنت ان الزجاجة لم تنكسر عاد الاطمئنان الى وجهها ونظرت الى وابتسمت فعاودنا من جديد ما كنا بصدده قبل وقوع الزجاجة .

يـوم مـات جـدى

مات جدى وأنا فى الخامسة الابتدائية • استدعتنى الناظرة ثم قالت لى بعد كلام كثير ان جدى قد مات وانهم ينتظروننى فى المنزل لكى أذهب اليهم وأسافر الى البلدة مرتديا مريلتى وحاملا شنطة • وتركت حجرة الناظرة وذهبت الى باب المدرسـة ولمـا هممت بالخروج قال لى البواب ان هذا ممنوع فقلت ان جدى قد مات ونحن سنسافر الى البلدة ففتح الباب وقال لى : هـل تعرف الطريق الى منزلك فقلت له نعم وسرت فى الشارع العريض وتركت شارعا عن يمينى وآخر عن يسارى ثم انحرفت يمينـا ودخلت شارعنا ورأيت أمى واقفة فى الشرفة تصرخ والبواب يقول لا حول ولا قوة الا بالله وكان الأولاد الصغـار يلعبون الكرة أمام منزلنا فالقيت بالشنطة على الرصيف ولعبت معهم وأحرزت عدة أهداف •

وجاءت سيارة كبيرة لونها أسود ونزلت أمى الى الشارع

وكذلك فعل أبى وركبنا السيارة أنا وأبى وأمى واخوتى ـ وقال أبى للسائق عن اسم بلدتنا وقال السائق انه يعرفها وسوف يوصلنا اليها وسارت السيارة فى طريق عريضة ثم فى طرق غيرمرصوفة ، وقال أبى للسائق هل تدخن فقال السائق : نعم فأعطاه أبى سيجارة وأشعل لنفسه سيجارة وصرخت أمى مرة أخرى ونحن بالسيارة وقال السائق لأبى هل كان صغيرا فقال أبى انه بلغ الستين منذ أيام وانه أصيب بمرض الكبد وأدخله ابنه (أى خالى) الى المستشفى العسكرى لأن خالى كان ضابطا بالجيش فقال السائق ان مرض الكبد ملعون وتكلم عن خاله الذى كان طويلا جدا ولكن مرض الكبد أعجزه عن الحركة وجعل بطنه تنتفخ وحدد له الأطباء سبعة أيام لكى يموت ومات هو فى اليوم الخامس .

وعندما دخلنا البلدة وجدنا اناسا كثيرين عن يميننا وعن يسارنا ولم أكن أعرف أى أحد من هؤلاء الناس وصرخت أمى وجاوبتها بعض النسوة بالصراخ وكان أخى الصغير نائما ولكنه استيقظ على الصراخ وقال : ماما .. ماما .. فأخذته أمى وأخرجت ثديها فراح الولد الصغير يشرب اللبن .

ووقفت بنا السيارة أخيرا أمام بيت جدى ورأيت جدتى تشير الينا وتقدمت احدى الفلاحات وقبلت أمى وبكت مما جعل أمى

تنزل الولد الصغير من على كتفها وخفت أنا على أخى الصغير فأمسكت يده وراح يمشى معى بصعوبة . وقال أبى للسائق عن الثمن الذى يريده وقال السائق ستة جنيهات فقال أبى انه جاء فى الشهر الماضى الى البلدة ودفع خمسة جنيهات فقط فقال السائق انه سوف يأخذ خمسة جنيهات ونصف فأعطاه أبى النقود وقال له متشكرين قوى ثم قال له ان الظروف لا تسمح له ان يجعله يدخل المنزل ويشرب شايا أو قهوة فقال السائق : أنا أعرف ذلك .. ثم التفت الى أمى وقال لها : البقية فى حياتك ودخل السيارة وأدار الموتور مرة أخرى وذهب بالسيارة بعيدا .

وقالت أمى للفلاحة التى قبلتها كلاما كثيرا عن جدى وبكت الفلاحة مرة أخرى وقبلت أمى وقالت ان جدتى تريدها فذهبت أمى الى جدتى التى كانت جالسة بين صفين طويلين من المقاعد وطلبت جدتى من أمى الا تصرخ مرة أخرى لأن الصراخ سوف يجعل جدى يحزن .

وجاء خالى وكان واضحا أنه قد بكى كثيرا لأن عينيه كانتا محمرتين وقال لأبى اننا قد تأخرنا كثيرا فقال أبى ان الظروف هى التى جعلتنا نتأخر لانه بحث عن سيارة كبيرة لكى تتسع له ولأمى وللأولاد .. وتركت أنا أبى وخالى وذهبت بأخى الصغير الى حيث جلست أمى بجانب جدتى وقلت لأمى انه

لا يريد أن يكف عن البكاء فأخذته أمى وأرقدته فوق ساقها اليمنى ثم قالت لى هل الترعة مملوءة بالماء فقلت لها اننى لا أعرف فقالت لى : خذ بالك من نفسك ثم راحت تبكى عندما قالت احدى الفلاحات كلاما عن جدى الذى مات وهو ما يزال صغيرا وذهبت أنا الى خارج المنزل وبحثت عن الأولاد الذين كانوا يلعبون معى الكرة عندما أحضر الى البلدة فى الصيف بعد ان تنتهى الدراسة فلمأجد الا واحدا فقط وكان يرتدى طاقية من الصوف وجلبابا لونه أبيض وقال لى هذا الولد ان أباه مريض وينام فى البيت وان أمه تصنع لأبيه مزيج العسل والماء وان أباه يشرب هذا المزيج بتلذذ ، فقلت له اننى أريد أن ألعب الكرة فقال انه لا يستطيع ان يلعب معى لانه مريض مثل أبيه وان الطبيب قال ان المرض الذى أصيببه والده يمكن أن يصيب الأولاد الصغار أيضا وانه نام على نفس السرير الذى ينام عليه أبوه .. وفى الصباح وجد انه ساخن جدا وقال لأمه على ذلك فأخذته أمه الى الطبيب الذى قال ان المرض انتقل من الأب الى الابن وقلت له كيف خرجت من المنزل وأنت مريض فقال انه انتهز فرصة ان أمه قد ذهبت بالعجين الى احدى الجارات لكى تصنع منه الخبز وخرج . وسأله عن الأولاد الآخرين فقال انهم ذهبوا الى المدرسة منذ الصباح وانهم لعبوا

بالأمس مباراة كرة القدم مع بلدة أخرى ولكن البلدة الأخرى هى التى هزمتنا لأن أولادها الذين يلعبون كانوا كبارا جدا . تضايقت أنـا من الولد وقلت له اذهب الى البيت ونم فوق السرير لأن أمك سـوف تبحث عنك وحين تراك قد تركت المنزل وخرجت فانها سوف تغتاظ منك وتضربك .. فقال لى انه واثق ان أمه لن تضربه لأنها لا تضرب الأولاد المرضى وانه يعرف ذلك لأنها كانت لا تضرب أخاه مطلقـا عندما مرض بالرغم من انه كان يأتى بأفعال تجعلها تشتمه وتشتم اليوم الذى ولدته فيه ، ثم قال لى انه رأى خالتى تبكى وتصرخ وتضـع التراب فوق رأسها وان خالى شتمها لأنها فعلت ذلك وأمسـكها من يدها وأدخلها المنزل فتركته ودخلت المنزل فوجدت خالتى راقدة فوق سرير مرتفع جدا عن الأرض وحاولت ان أكلمها ولكنهـا لم ترد على لأنها كانت تقول كلاما مشابها للكلام الذى قالتـه الفلاحة عن جدى .. وجدت ابن خالتى الصغير يقف بصعوبة ويلعب فى أصـابع خالتى وان خـالتى لا تنهره من أجـل ذلك فرحت أنا ألعب فى أصابعها الأخرى فتنبهت هى الى ذلك وقالت لى هل أتت أمك ؟ فقلت لها نعم ثم رحت أواصل اللعب فى أصابع قدميها ورحت ألاحظ ان أصـابع خالتى طرية وأنها قد طلت أظافرها باللون الأحمـر فتذكرت البنت التى كانت تعيش فى

شارعنا والتى ضربها أبوها لأنها ذهبت مع المكوجى الى حدائق الحيوان والأورمان وجاءت احدى الفـلاحات وكلمت خالتى قليلا ثم نظرت الى ونهرتنى وقالت لا تلعب فى أصابع خالتـك يا ولد .. فتركت أصابع خالتى وجريت الى خارج البيت حيث وجدت الطريق غير المرصـوف وتقدمت ونظرت الى الترعـة فوجدتها ملآنة حتى حافتهـا بالمـاء وتذكرت كـلام أمى عن العفاريت وخفت وابتعدت عن الترعة بمقدار أربع خطوات ، وفى تلك اللحظة اصطدم بى حمار يركبه رجل قصير وقال الرجـل القصير . ابعد ياوله فرجعت الى الخلف خطوتين ومر الحمـار الذى كان لونه أبيض وفى تلك اللحظة رأيت خالى الصغير يأتى من البر الثانى وهو يرتدى بدلة لونها أسود وأشرت له وقد عرفنى وأشار لى بيده ثم مشى فى الطريق وذهب الى الكوبرى الذى يفصـل البرين عن بعضهما وسار فوق الكوبرى ووصل الى البر الذى أقف فيه وسلم على أحد الفلاحين ولكنى لم أسمع الكلام الذى قالاه لبعضهما البعض لأننى قد كنت بعيدا جدا عن خالى . وجريت أنا بسرعة كبيرة ودخلت الدار ، وقلت لأمى ان خالى قد اتى وانه يرتدى بدلة سـوداء فتجهمت أمى وقالت لجدتى كلاما بصوت منخفض .. وبعد ذلك قامت ودخلت حيث توجد خالتى ووصـل خالى الصغير فى هذه اللحظـة الى البيت ورآه خالى الكبير وكان يتحدث مع أحد الفـلاحين ـ

فترك الفلاح ومشى بخطوات مسرعة حتى وصل الى المكان الذى يقف فيه خالى الصغير وقال له :

ـ ما الذى اتى بك الى هنا ؟

قال خالى الصغير :

ـ البقية فى حياتك .

قال خالى مكررا :

ـ ما الذى اتى بك الى هنا ؟

ـ نظر خالى الصغير الى الأرض وأمسك بيد خالى الكبير وأخذ يبكى .. جذب خالى الكبير يده بسرعة ودخل الى الدار .. وقف خالى الصغير وحيدا واستمر يبكى بصوت مرتفع ولكنه لم يقل أى كلام عن جدى ونزلت الدموع من عينيه الى خديه ثم الى شاربه فأخرج منديلا من جيب الجاكتة السوداء وراح يجفف الدموع .

وجاءت خالتى وصرخت فى وجه خالى الصغير وقالت له بصوت مرتفع يا قاتل فزاد بكاؤه وأسند يده على حائط الدار ولطمت خالتى وجلست على الأرض ووضعت التراب فوق رأسها وقالت مرة أخرى يا قاتل ثم راحت تصرخ بصوت مرتفع جدا

مما جعل جدتى تقوم بين الصفوف وتذهب الى خالتى ثم تأمرها الا تصرخ واقترب خالى الصغير من جدتى وأحنى رأسه وقبل يدها فسحبت يدها بسرعة ودخلت البيت مرة أخرى وقامت خالتى من فوق الأرض ووقفت ولاحظت انها لا تلبس حذاء وكان التراب قد دخل بين أصابعها وجعل الطلاء الأحمر الذى فوق أظافرها يصبح لونه داكنا .

ووقفت أنا بجانب خالى الصغير وتذكرت انه لم يعد يأتى الى القاهرة ليزورنا وهممت ان أسأله عن السبب الذى لا يجعله يأتى لزيارتنا ولكننى عدلت عن ذلك عندما رأيت حمارا أبيض يقف بجانبى وينزل من فوقه رجل لون وجهه أسمر سار هذا الرجل بخطوات بطيئة جدا حتى وصل الى خالى الذى كان ما يزال يستند على حائط الدار وقال الرجل لخالى انه مريض جدا والطبيب قال له الا يتحرك من فوق السرير ولكنه لم يستطع أن يبقى فى منزله لأنه كان يحب جدى حبا كبيرا وقال لخالى : البقية فى حياتك وقال خالى : حياتك الباقية .. وسأله الرجل عن خالى الكبير .. فقال خالى انه دخل الدار منذ قليل وبعد ذلك حمل خالى الصغير مقعدا لم يكن يجلس عليه أحد وقدمه للرجل فجلس الرجل على المقعد وهو يقول آه بصوت ضعيف قال لابنه الذى كان يقف بجانبه اذهب الى الدار وخذ

معك الحمار ثم تعال أنت والحمار بعد نصف ساعة •• أمسك الولد بالحمار وراح يحدثه بأصـوات غريبة مما جعل الحمار يسير وهو يهز رأسه يمينا ويسـارا •• وقلت أنا للولد كيف سمحت أمك لأبيك أن يترك المنزل وهو مريض •• فقـال لي ان أباه قال لأمه أن الرجل الذى مات كان رجلا عزيزا عليه وا لا يستطيع أن يجلس فى الدار بينما معظم رجال البلدة قد ذهبوا الى المـأتم فقـالت له أمه اذهب ولا تبق هنـاك أكثر من نصف ساعة •

وتركت الولد واستدرت ونظرت الى الأمام فوجدت خالى الكبير يقول للرجل المريض والله ما أنت قايم اذ أن الرجـل المريض كان يحـاول أن يقف وهو يصافح خالى وأمسك الرجل يد خالى الكبير ثم أشـار الى خالى الصغير وقال له تعـال ولمـا جاء خالى الصغير ووقف بجانب خالى الكبير قال الرجل المريض ان الله غفور رحيم ثم طلب من خالى الكبير أن يصـافح خالى الصغير الا أن خالى الكبير نظر الى الرجل غاضبا وخلص نفسه من يده ودخل البيت مرة أخرى •

وجريت أنا الى الداخل وذهبت الى أمى ورأيتها ما تزال تجلس بجانب جدتى وقالت أمى لجدتى انها ذهبت الى جدى

فى المستشفى قبل أن يموت بيومين وان جدى قال لها كلاما كثيرا عن خالى الصغير وان كلام جدى هذا جعلها تبكى .

وفى تلك اللحظة سمعت رجلا طويلا جدا يقول : وحدوه بطريقة ممطوطة جدا ثم يتجه الى النعش الذى يرقد فيه جدى.. وبعد ذلك قام الرجال الذين كانوا يجلسون على الكراسى وحمل أربعة منهم النعش الذى كانت تغطيه قطعة قماش .. وصاح خالى الكبير : الاعلام الاعلام .. فتقدم النعش ستة أشخاص : ثلاثة منهم يحملون رايات حمراء والثلاثة الآخرون يحملون رايات بيضاء وكان مكتوبا على الرايات البيضاء لا اله الا الله بخط لونه أخضر .

وأعطى خالى الكبير وجهه للنعش وراح يشير بيديه الاثنتين لحاملى الرايات كى يصطفوا أمام النعش وعندما تأكد من ذلك أشار للرجال الذين يحملون النعش فتقدموا بخطوات بطيئة ومنتظمة ...

العســـاكر

واتتصف الليل وقال حفنى لحورية :

ـ ياللا بينـا .

وكانت أعمدة النور تضىء الشوارع أما حورية فكانت ترتدى بلوزة مفتوحة رغم البرد ولكنهـا لم تكن تهاب أحدا لأنها كانت بصحبة حفنى الذى كانوا يسمونه فى الحتة بحفنى العضل ، وقالت حورية :

ـ أنا بحبك قوى يا حفنى .

وراحت تحتك به أثناء السير وشعر حفنى بالزهوـ وسار وهو يدق الشـارع بحذائه محدثا صوتا واضحا فى هذا الليل الشتوى وقالت حورية ضاحكة :

ـ أنت لابس جزمة بحديد يا حفنى ؟

فقال حفنى :

ـ دى جزمة أبويا الله يرحمه •

وتذكرته حورية وكانت قد مرت شهور منذ وفاته وقالت :

ـ كان بيحبنى قوى •

وقال حفنى :

ـ كان نفسه يعيش ويشوفنا متجوزين •

وانطفأ نور أحد الأعمدة وقلت الرؤية قليلا وبرزت قطة من حارة جانبية نظرت القطة تجاههما قليلا دخلت الحارة مرة أخرى ، وقال حفنى :

ـ الله يرحمك يابه •

وراح يدق الشارع بقوة واستمعت حورية الى صوت الحذاء وزاد اعتزازها بحفنى ، كانت فى الخامسة والعشرين وتهوى الأغانى وترتدى جونلة قصيرة تكشف عن ركبتيها وصاحت وهى تلف حول نفسها :

ـ احنا فى ديسمبر يا حفنى •

وراحت تحمد الله ان أوجدها فى هذا العالم الملىء بالمسرات •

ودندنت بأغنية من أغانى الشباب ورغم ان حفنى كان يعشق القديم فانه لم يعترض وقالت حورية :

ـ أنا بحب الليل فعلا .

ثم راحت تجرى فى الشارع فقال حفنى :

ـ على مهلك شـــوية .

صاحت حورية بصوت مرتفع بحب ليل القاهرة يا ناس .. وراحت تغنى وتحس انها راغبـــة فى حفنى أكثر من أى وقت مضى وشعر حفنى برغبتها ولكنه ضبط انفعالاته ، اقتربت من دكة بواب مثبتة بالأرض ونامت عليها وقالت :

ـ تعالى يا حفنى ..

تلفت حوله وقال :

ـ مش معقول يا حورية .

عند ذلك ظهر واحد من عساكر الليل المتجولين ماســكا فى يده بنطلونا ، كان حديث العهد بالشرطة ونحيفا وارتاب فى الأمر وضيق عينه اليمنى علامة أنه يفهم مثل هــذه الأمور جيدا اقترب منهما وقال لحفنى بصوت حاول أن يضخمه :

ـ بطاقتك لو سمحت .

كان العسكرى قصيرا ونظر اليه حفنى من عل وقال :

ـ خليك فى حالك .

أخذ العسكرى الأمر مأخذ الجد وراح ينظر لعضلات حفنى النافرة من كم القميص وقال :

ـ أنا مش قصدى .. أصلها يعنى .

وراح يشير الى دكة البواب .. فقال حفنى وهو يأخذ حورية ويهم بالسير :

ـ مالكش دعوة بالحاجات دى .

تحول العسكرى الى ولد صغير قلق ومعذب وقال :

ـ اصلى بدور على زميلى .

وبدأ حفنى السير وقال العسكرى :

ـ مشفتهوش والنبى ؟

قال حفنى :

ـ لا ..

وسارا قليلا ولكن العسكرى ما لبث ان لحق بهما ثم وقف أمامهما وقال :

ـ أصلنا تهنا عن بعض .

ثم رفع يده المسكة بالبنطلون الصوف الأسود وقال :

ــ والنبى لو شفته تقول له ان البنطلون معاى .

ترك حفنى يد حورية وقال :

ــ هى الحكاية ايه بالضبط .

قال العسكرى خجلا :

ــ أصله كان بيعمل زى الناس وجه واد وسرق البنطلون.

أحست حورية بالقرف وقالت :

ــ سيبك منه يا حفنى وياللا بينا .

قال حفنى :

ــ استنى بس يا حورية .

ثم نظر الى العسكرى وقال :

ــ يعنى زميلك ماشى دلوقت من غير بنطلون ؟

نظر العسكرى للأرض وقال :

ــ أيــوه .

ضرب حفنى كفا بكف ثم قال :

ــ بقى دى عمايل عساكر بالذمة ؟

ونحى العسكرى جانبا وقال :

ـ لو شفته هيعتهولك •

وسار مع حورية من جديد ورآهما العسكرى وقد ابتعدا قليلا فصاح :

ـ قل له الضابط لسه مفتش عشان يتمم •

سارا يدا فى يد وكف العســكرى عن الكلام ووقف فى منتصف الشارع • استمرا بالسير حتى وصلا الى آخر الشارع•

كانت حورية صامتة لأنها كانت تحس ببعض الخجل وحفنى من ناحيته صمت هو الآخر ولم يشأ أن يفتح الموضــوع وعندما انحرفا فى الطريق المتقاطع وحاذيا صــندوق قمامة رآه حفنى هناك واقفا يرتعد قال حفنى :

ـ الواد الثانى هناك أهــه ••

وصلا اليه وكان قد توارى خلف عربة خضار وقال حفنى :

ـ زميلك مستنيك ومعاه البنطلون •

قال من خلف العربة فين ؟

قال حفنى :

ـ هناك وأشار الى الشارع خرج العسكرى من خلف العربة فبانت جاكتته السوداء بزرارها العلوى الخــارج من

عروته وأسفلها كان اللباس الأبيض المصفر واضحا وطويلا ويصل الى ركبتيه نظرت حورية بعيدا وقال العسكرى :

ـ والضـابط ؟

قال حفنى :

ـ لسه مفتش ٠

صاح العسكرى صيحة فرح ثم جرى ٠ أمسكه حفنى ثم نظر فى وجهه بعد ذلك وأطلقه جرى العسكرى فتابعه حفنى حتى دخل الشارع ، نظرا لبعضهما مبتسمين وواصـلا السير ومر بعض الوقت لاحظت حورية ان حفنى قد أصبح حزينا على نحو ما توقفت ثم نظرت اليه وقالت :

ـ مـالك ؟

أمسك يدها ثم ضغط عليها وقال :

ـ العسكرى اللى كان قالع بنطلونه ٠

ـ مالـه ٠

ـ فيه شبه من أبويا ٠

ابتسمت بحنان ثم ربتت على ذراعه وقالت :

ـ تعيش وتفتكر ٠

وما لبثا أن عاودا السير وكان كل منهما يحاول أن يستعيد حالته التى كان عليها قبل ان يقابلا العسكرى ٠

الأصـــــدقاء

وضرب شفيق غطسا ثم ظهر من جديد وقال وهبه :

ـ وقالك ايه الدكتور ؟

وضع شفيق يديه فى وسطه ثم نظر باتجاه الشاطىء وقال :

ـ الحـالة زى ما هى ..

وكان البحر مزدحما بالمستحمين .. وقال وهبه :

ـ المسألة طولت قوى ..

وانحنى وغرف رملا من القاع راح يدلك به صـدره ثم قـال :

ـ وناوى تعمل ايه ..

فقال شفيق :

ـ هاستمر فى العلاج طبعا .

فقــال وهبه :

ـ وتفتكر العلاج هينفع ..

فنأم شفيق بظهره فوق سطح المــاء وقال وهو يكشر :

ـ والله ما أنا عارف يا وهبه ..

وقف وهبه ساكنا لبعض الوقت يتبول فى المــايوه مباشرة بعدها أحس بالراحة وقال :

ـ ولا يهمك يا بطل ..

نظر شفيق الى السماء وقال :

ـ يعنى ياربى متلاقيش الا أنا ..

بعدها فكر قليلا ثم غطس فى المــاء ، وخرج بعد ذلك وقد ارتدى المــايوه فى رأسه نظر وهبه اليه مندهشا وقــال شفيق متألمــا :

ـ تعبان يا وهبه تعبان ..

واقترب بعض المستحمين فقال وهبه :

معلش يا جماعة أصله متضايق شويه ..

فقال أحدهم وهو يتقدم من شفيق :

ـ متحترم نفسك احنا معانا ستات ..

أوقفه وهبه وقال بقسوة :

ـ لو قربت منه هكسرلك عضمك ..

وفرق المستحمون بينهما . اقترب من شفيق ثم ربت على كتفه وقــال :

ـ وحد الله والبس مايوهك ..

نظر شفيق الى وهبه لبعض الوقت ثم حول عينيه ونظر للمــاء ، خلع بعد ذلك المــايوه من رأســه ثم أخــذ يرتديه وقال وهبه :

ـ بقى دى عمايل يا شفيق ..

فقال شفيق متحسرا :

ـ والله مبقيت عارف أنا بعمل ايه .

قال وهبه يشجعه :

ـ كل حاجة هتتحل ان شاء الله فرد بيأس :

ـ مش باين .

لحظتها جاءت موجة عالية تفاداها وهبه ولكنهــا اطاحت

بشفيق رفع يده مستغيثا ودخل المـاء الى أنفه •• أسرع وهبه اليه وأمسكه ثم رفعه قائلا :

ــ ايه اللى جرالك يا شفيق •

وقف وجسمه يقطر ماء ورأسه تؤلمـه من أثر اصطدامها بالموجـة •

ابتسم وهبه وقال :

ــ جرى ايه يا شفيق مش عارف تحط دماغك فى الموجة وتتفاداها دانت بقيت لخمة قوى ••

دمعت عيناه وقال :

ــ معتش نافع فى حاجة ••

أمسكه وهبه وقال :

ــ وبعدين معاك •• حضنه شفيق ثم أجهش بالبكاء •• ابعده وهبه عن صدره وقال وهو يضحك :

ــ ياد كل واحد بياخذ نصيبه ••

مسح شفيق دموعه وقال وهو ينظر لأسفل :

ــ فعـلا ••

ضربه وهبه على صلعته وقال :

ـ طب فرفش بقى ••

نظر شفيق الى السماء وتأمل قليلا ثم قال :

ـ تعــرف ••

فقــال وهبه :

ـ ايــه ••

فقال شفيق :

ـ هى سنة كمان وبعدها هتصرف ••

فكر وهبه بعمق ولكنه لم يرد •• واستدار شفيق الى الشاطىء وقال :

ـ أنــا خــارج ••

فدعك وهبه أسنانه بالمــاء المــالح ثم قال :

ـ خدنى معاك •• وراحا بعد ذلك يخرجــان من البحر ويتقدمان الى الشاطىء •

الشمســـية

صر السرير وجدى نائم ، اذ قام الأبجى حاملا مظلتـــه . كان خالى واقفا فى الصـــالة يصفر داعيا الأبجى الى الخروج ، خرج ممسكا المظلة ولم تكن مفرودة قال لخالى :

ــ اتأخرت ليه ؟

رد خـــالى :

ــ هس ..

وسارا فى ظلام الصالة بعد أن خلعا الأحذية من أقدامهما ، ولمـــا أصبحا على وشـــك الخروج اصطدمت المظـــلة بأصبع خـــالى ..

قـــال خـــالى :

ــ ايـــه ده ..

أفهمه الأبجى انها شمسية وسارا بجوار الترعة الكبيرة ، وأمسك خالى بيد الأبجى لانه كان يعرف ان نظره ضعيف ولما أمطرت السماء فرد الأبجى مظلته ورأى انها كبيرة . وجعل خالى والأبجى يقربان رأسيهما من بعضهما . وسأل الأبجى عن المكان الذى تقع فيه القهوة بالضبط ، فأخبره خالى انها قريبة جدا .

قال الأبجى :

ــ أعتقد انه رآنى وأنا انهض ، فطمأنه خالى قائلا انه يشك فى ذلك لانه يعرف ان نوم جدى ثقيل . وفى الطريق رأيا معزة تائهة وواقفة بجوار الترعة وراح البرق ينطلق ويجعل المعزة منيرة .

قال الأبجى :

ــ معيز قريتنا مختلفة تماما ، وشدد قبضته على المظلة ، وحين أصبحا فوق الكوبرى الخشبى كادت المظلة ان تنحرف لليسار ولكن الأبجى لم يمكنها من ذلك .. واشتد البرق ورفع خالى رأسه ورأى المظلة من الداخل ، ولما زل الأبجى فى الحفرة الصغيرة التى امتلأت بالماء استطاع خالى أن يرى النقوش بوضوح ، وقد سارت المعزة خلفهما منذ الدقيقة التى رأتهما فيها وعندما زل الأبجى راحت تتشمم ذيل جلبابه قال

الأبجى أحس بشىء ورائى . أخرج خالى رأسه من تحت المظلة وشاهد المعزة تسير ببطء .. أدخل رأسه بسرعة واصطدم خده بخد الأبجى سأله الأبجى :

ـ ايــه ؟

قــال :

ـ دى المعزة .

وانحرفا يمينا وسارا فى الطريق الضيق ، وعندما أصبحا بجوار بيت العمــدة توقف خالى فجــأة فتوقف الأبجى هو الآخر .. كانت المظلة مقوســة بشدة وتخفى رأسيهما تماما . لم يكن يظهر ســوى الجلبابين الرماديين ، وراح قماشــهما يختلط ببعضه البعض ، وحذاء الأبجى ذو الأبزيم كان قد ابتل بالمــاء .

قال خالى :

ـ شــامم ؟

وركز الأبجى قليلا ثم قال :

ـ نعم أشم رائحة برتقال وأخرج رأسه قليلا من تحت المظلة فسقطت قطرة من المطر فوق أذنه جعلته يجفل وراح خالى يتحسس قماش المظلة من الداخل ولمــا أدخل الأبجى رأســه

مرة أخرى اصطدمت بيد خـالى التى كانت ما زالت تتحسس قال الأبجى :

ـ رأيت ثلاث نخلات تهتز بقوة واقتربت أنفه من أذن خالى فشم رائحة مستحبة وأخفى خـالى ضيقـا لم يخبر به الأبجى ، اذ كان منزعجا من ان البلح يتسـاقط ولا يحـدث ارتطامه بالأرض أى صوت ، ولقد واصلا السير وأصبحا فى الطريق الذى يجـاور الترعة الصغيرة ، عنـدما قال الأبجى فجـأة :

ـ أنـا تعبت •

أخرج خالى يده من جيب السيالة وقال :

ـ أح ••

ـ وتسلم المظلة وراحت أصابعه ترتعش فوق المقبض ، بينما كانت الريح تدفع المظلة ناحيـة اليسار سقطت كمية كبيرة من المطر فوق كتف الأبجى ، رفع رأسه لأعلى وشاهد جزءا من السماء قال لخـالى :

ـ حركها لليمين شوية ودفعها خالى بقوة فحجبت السماء عن عيون الأبجى •

قال الأبجى :

ـ خليك على كده •

وبينما كانا يقطعان المـائه متر الأخيرة أخذت أسـلاك المظلة تحتك بالطاقية البيضاء التى يرتديها الأبجى ، شعر الأبجى بالضيق قال لخالى :

ـ ارفع يدك بأقصى ما تستطيع •

ونفذ خالى أمر الأبجى بسرعة •• وأحس الأبجى بالارتياح• كان يسير الآن وقـد تحرر من ثقـل الشمسية وأصبحت يداه ساخنتين بما فيه الكفاية ، ومكنه ارتفاع الشمسية من رؤيـة أضواء المقهى القريب • وقال فى نفسه ان المشـكلة الوحيدة التى تؤرقه هى كيفية الدخول الى الحجرة ، والنوم فوق السرير الملاصق لسرير جدى دون أن ينتبه الأخير الى ذلك •

الفهـــرس

الصفحة

الضحـــك	٥
اللمس الخفـيف	١٥
العميـــان	١٩
الحجرة ذات الســقف الواطىء	٢١
الشـــرائط	٢٧
الصعود الى خشبة المسرح	٣١
محــاولة للتــذكر	٣٥
النـــافذة المرتفعـــة	٤١
يوم مــات جــدى	٤٩
العســـاكر	٥٩
الأصـــدقاء	٦٧
الشمســية	٧٣

صدر من هذه السلسلة :

● الرجل المناسب	(قصص)	فتحى غانم	٩
● دموع رجل تافه	(قصص)	عبد الرحمن فهمى	٢
● الجميع يربحون الجائزة	(قصص)	أبو المعاطى أبو النجا	٣
● بالأمس حلمت بك	(قصص)	بهاء طاهر	٤
● رباعيات	(قصص)	شكرى عياد	٥
● من قتل الطفل	(مسرحيتان)	عبد الغفار مكاوى	٦
● منتصف ليل الغربة	(قصص)	جمال الغيطانى	٧
● رشق السكين	(أقاصيص)	محمد المخزنجي	٨
● وعلى الأرض السلام	(قصص)	فاروق خورشيد	٩
● الأشواق والأسى	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	١٠
● والبحر ليس بملآن	(رواية)	جميل عطية ابراهيم	١١
● ان تنحدر الشمس	(قصص)	سحر توفيق	١٢
● لا تسقنى وحدى	(رواية)	سعد مكاوى	١٣
● كهف الأخيار	(قصص)	شكرى عياد	١٤
● محطة السكة الحديد	(قصص)	ادوار الخراط	١٥
● حصار القلعة	(م شعرية)	محمد ابراهيم أبو سنة	١٦
● سارق الكحل	(قصص)	يحيى حقى	١٧

● أربعة فصول شتاء	(قصص)	محفوظ عبد الرحمن	١٨
● أنــا الملك جئت	(قصص)	بهـاء طـاهر	١٩
● تاريخ حياة صنم	(قصص)	عبد الرحمن فهمى	٢٠
● الوداع : تاج من العشب	(قصص)	عبده جبير	٢١
● النجوم العاليــة	(أقاصيص)	محمود الوردانى	٢٢
● قلوب خاليــة	(روايــة)	عبد الرحمن الشرقاوى	٢٣
● الشجرة والعصافير	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد	٢٤
● عطشان يا صبايا	(قصص)	سليمان فيــاض	٢٥
● طرف من من خبر الآخرة	(روايــة)	عبد الحكيم قاسم	٢٦
● طعم القرنفل	(قصص)	جار النبى الحلو	٢٧
● السحر الأســود	(روايــة)	شفيق مقــار	٢٨
● تسلق الجدار الأملس	(روايــة)	حسنى عبد الفضيل	٢٩
● احتضار قط عجوز	(قصص)	محمد المنسى قنديل	٣٠
● رحــلة الليــل	(قصص)	عبد الله خيرت	٣١
● حبات النفتالين	(روايــة)	عاليــة ممــدوح	٣٢
● أرض لا تنبت الزهور	(مسرحيــة)	محمــود ديــاب	٣٣
● الخـــوف	(قصص)	عبد الفتاح الجمل	٣٤
● ما أجملنــا	(مسرحيتان)	محفوظ عبد الرحمن	٣٥
● لم يعد الضحك ممكنا	(قصص)	يوســف القعيــد	٣٦
● جبــال الســام	(قصص)	فاروق خورشــيد	٣٧
● الحنان الصيفى	(قصص)	أحمــد الشيخ	٣٨

● يوسف والرداء	(قصــص)	ابراهيم أصــلان	٣٩
● مســألة لبنى	(مسرحيــة)	يحيى عبد الله	٤٠
● عكس الريح	(قصــص)	يوسف أبو ريــة	٤١
● هــــل	(قصــص)	محمــد جبريــل	٤٢
● عفاريت الجبانة	(مسرحيــة)	نعمان عاشــور	٤٣
● الطــائر والنهر	(قصــص)	عائــد خصباك	٤٤
● زهــر الليمون	(قصــص)	عــلاء الديب	٤٥
● الطواحــين	(قصــص)	أمــين ريــان	٤٦
● رائحــة البحر	(روايــة)	ســامى فريــد	٤٧
● حضرة صاحب الدولة	(مسرحية)	عاطف الغمــرى	٤٨
● أسباب للكى بالنار	(قصــص)	خيرى شــلبى	٤٩
● السين والطلسم	(قصص شعرى)	بدر الديب	٥٠
● أيام الانسان السبعة	(روايــة)	عبد الحكيم قاســم	٥١
● المــلاك الأبيض	(قصــص)	محمد زفزاف	٥٢
● هــذا ما كان	(قصــص)	محمد البساطى	٥٣
● الغرف الأخرى	(روايــة)	جبرا ابراهيم جبرا	٥٤
● أغنية حب حزينة	(قصــص)	طلعت فهمى	٥٥
● انكسار الحروف	(قصــص)	ربيع الصبروت	٥٦
● أخبار الدراويش	(روايــة)	عبد الوهــاب الأسوانى	٥٧
● النيــل والغضب	(قصــص)	فتحى عبد الفتــاح	٥٨
● الشيء	(روايــة)	نهــاد شريف	٥٩

● الفيوم ومنابت الشجر	(روايــة)	عبد العزيز مشرى	٦٠
● الصخرة والطوف	(مسرحيات)	فــؤاد التــكرلى	٦١
● نورسان أبيضان	(قصــص)	نعيم عطيــة	٦٢
● ســتر العورة	(قصــص)	سعيد الكفراوى	٦٣
● الوجة الآخر للقمر	(قصــص)	محمد سليمان	٦٤
● ســـفر	(قصــص)	محمد المخزنجى	٦٥
● رجال من الرف العالى	(قصــص)	سليمان الشطى	٦٦
● رأيت النخــل	(قصــص)	رضو ن عاشور	٦٧
● ليلة حب مجنونة	(قصــص)	ليـلى العثمان	٦٨
● المستحيل والقيمة (تجربة فى الديالكتيك)		بدر الديب	٦٩
● النعيم العــائم	(مسرحية)	توفيــق الحــكيم	٧٠
● شمس بيضــاء	(قصــص)	محمد عبد السلام العمرى	٧١
● ديوان الملحقات	(قصــص)	عبد الحكيم قاسم	٧٢
● شــتاء داخلى	(قصــص)	أحمد زغلول الشيطى	٧٣
● حكايــة شــارعنا	(روايــة)	وجيــه الشربتلى	٧٤
● أذعــان صغير	(قصــص)	فهــد العتيــق	٧٥
● منحنى النهــر	(قصــص)	محمد البساطى	٧٦
● العشق أوله القرى	(قصــص)	ابراهيم فهمى	٧٧
● اغــلاق النوافذ	(قصــص)	ابراهيم عبد المجيد	٧٨
● أجنحة الحصان	(قصــص)	هــالة البدرى	٧٩

● وش الفجــر	(قصــص)	يوســف أبو ريــه	٨٠
● حكى القرايا وحكى السرايا	(مسرحية)	ممــدوح عــدوان	٨١
● من دفتر العشق والغربة	(قصــص)	جمــال الغيطــانى	٨٢
● البحــر الرمــادى	(قصــص)	احمــد الشــيخ	٨٣
● بســتان الأزبكيــة	(قصــص)	محمد عبد السلام العمرى	٨٤
● لحس العتــب	(روايــة)	خيرى شــلبى	٨٥
● أحــاديث جانبيــة	(قصــص)	جميل عطيه ابراهيم	٨٦
● رجل فى القلعــة	(مسرحية)	أبو العلا السلامونى	٨٧
● مجرى العيون	(قصــص)	ســعيد الكفراوى	٨٨
● الكــرز	(قصــص	ليــلى الشربينى	٨٩
● ساعات الكبرياء	(قصــص)	ادوار الخــراط	٩٠
● ســالومى	(مسرحية)	محمــد ســلماوى	٩١
● غــزو الأرانــب	(قصــص)	نبيل عبد الحميد	٩٢
● أم الشــعور	(قصــص)	حســام فخــر	٩٣
● العودة من داخل الرأس	(قصــص)	عبد الفتاح رزق	٩٤
● بحــيرة المســاء	(مسرحيــة)	ابراهيم أصــلان	٩٥
● قراءة فى جريدة الصباح	(قصــص)	محمــد ســليمان	٩٦
● قبــله الريــح	(روايــة)	نعيــم عطيــة	٩٧
● الفــارس	(م.شعرية)	أحمــد ســويلم	٩٨
● بقــايا الحمــر	(قصــص)	فتحى أبو رفيعــة	٩٩
● الــزائر	(مسرحية)	أحمــد الحوتى	١٠٠
● شدو البلابل والكبرياء	(قصــص)	فــؤاد قنــديل	١٠١

● كوبرى التاريخ	(قصص)	محمد محمود عبد الرازق	١٠٢
● فى الظل والشمس	(قصص)	محمود الورداني	١٠٣
● طقوس بشرية	(قصص)	رضا البهات	١٠٤
● اللمس الخفيف	(قصص)	احمد النشار	١٠٥

الأعداد القادمة :

● اخناتون	(م.شعرية)	شوقى خميس
● حديث الضد	(قصص)	محمود حنفى
● أضلاع الصحراء	(رواية)	ادوار الخراط
● صندوق الدنيا	(قصص)	محمد عبد الرحمن المر
● هكذا تكلمت الأحجار	(رواية)	سمير عبد الباقى
● غوص مدينة	(قصص)	مصطفى الأسمر
● بقع القلب	(قصص)	عبد المنعم الباز
● رجل وامرأة	(ن. قصصية)	فوزية رشيد
● سوق العيد	(قصص)	محمد جبريل
● طل النار	(قصص)	يوسف أبو ريه
● رياح الجنوب	(قصص)	ليلى الشربينى
● متعلق من عرقوبه	(مسرحية)	رافت الدويرى
● للروح غناها	(قصص)	سيد الوكيل
● اظافر صغيرة جدا	(قصص)	فهد العتيق
● ظما البحر	(قصص)	ربيع الصبروت
● دولة أيوب	(م.شعرية)	محمد حسيب القاضى
● حكاية الأم تفاحة	(رواية)	عبد المنعم عبد القادر
● ديوان البقر	(مسرحية)	محمد أبو العلا السلامونى
● ليل طارق الظلمات	(قصص)	محمد حافظ رجب

الأعداد الممتازة القادمة :

● المعذبون فى الأرض	(رواية)	طه حسين
● قنطرة الذى كفر	(رواية)	مصطفى مشرفة
● خيوط العنكبوت	(رواية)	ابراهيم عبد القادر المازنى
● ابراهيم الثانى	(رواية)	ابراهيم عبد القادر المازنى
● نائب عزرائيل	(رواية)	يوسف السباعى
● فساد الأمكنة	(رواية)	صبرى موسى
● قصص مختارة	(قصص)	يوسف ادريس
● أغنية الرياح الاربع	(دراما شعرية)	على محمود طه

تطلب هذه السلسلة من

● باعة الصحف ● مكتبات الهيئة ● معارض الكتاب بداخل مصر والخارج

● المعرض الدائم للكتاب ● مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

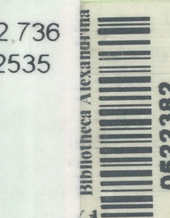
رقم الايداع ١٨٩١/١٩٩٥

I.S.B.N. 977 — 01 — 4256 — 5 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تتوالى مويجات المياه فى النهر، ودفقات الريح فى الفضاء، ولاتصل أبدا إلى ذروة عاصفة، ولا تنقطع أبدا عن التتابع قادمة من منبع غير مرئى، منسابة إلى مصب لاوجود له، بلا بداية ولا نهاية - ولا انقطاع - ولا ذروة. تنكسر الرغبة ولا تنكسر الروح؛ وتتصاعد الرغبة ولكن العقل أيضاً - ينتبه إلى ماهو خارجها وتسيطر الذكريات فى اللحظة ذاتها مع الرغبة. ومع الانتباه لما هو قائم هنا والآن، وما هو خارج الزمن والمكان. يغوص الجسد فى البحر ولا يذوب فى مائه الخوف ولا المرح ولا المحبة.

يموت الأب ويحزن الأبناء وتهيمن أيضاً مع الحزن الضغائن الصغيرة. يقرص البرد ولا يغيب الإحساس بالدفء القادم أو القديم؛ ويمتزج الضحك والغيظ فى امتزاج الحنان والغباوة والحرمان معاً...... وقد يكون أحمد النشار هو نفسه «الولد الذى يكتب القصة القصيرة من زمان ولايدخل الامتحان» الذى يحكى عنه فى القصة الأولى من هذه المجموعة؛ قد يكون هو أو لا يكون - فليست هذه هى المسألة - إنما المسألة هى أن أحمد النشار يمنحنا لحظات منفصلة متصلة من رؤية لهذا التيار المنساب والمتكتل [illegible] مكونات حياتنا: السلوك والتفكير والشعور والتذكر والإحس[illegible] والتواصل والتباعد، منسوجاً باللغة التى تشبه الرؤية [illegible] مشدودة محكومة متعددة الوجوه - كمويجات المياه أو [illegible] دون ذروة عاصفة، لكى يؤكد خصوبة البذرة التى غ[illegible] تيارات أدبنا الحديث، وقدرة تلك البذرة على أن تنبت [illegible] لكل عصر - ثماره كاملة ونكهته وطعمه.



٥٠ قرشاً
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب